

التحقيق من عصر الفقيه أبو علي المتيجي

الطالب دكتوراه/طيايية تقي الدين/كلية العلوم الإسلامية/ جامعة باتنة 1

الملخص:

يطرح البحث إشكالية مهمة حول العصر الذي عاش فيه أبو علي المتيجي أحد فقهاء المغاربة وبالضبط من متيجة الجزائرية، ولعلّ هذا الفقيه له ترجمة مقتضبة جدا، وليست له شهرة كبقية الفقهاء المالكية في كتب التراجم والطبقات، وهناك بعض التحقيقات التي توصلت أنّ هذا الفقيه عاش في القرن الحادي عشر ميلادي لكن هذا التحقيق غير مضبوط وغير مؤسس، فوددت في هذه الدراسة الضبط والتحقيق من العصر الذي عاش فيه أبو علي المتيجي، مع استنباط الأدلة التي استخدمها في دحض قبلة المغاربة، فمن هو أبو علي المتيجي؟ وما هي الفترة التي عاش فيها؟ وكيف عالج قبلة المغاربة من خلال مخطوطه؟

وأما عن أهداف البحث فيهدف إلى دراسة أحد أعلام الفقه المالكي الذين كان لهم الدور في تصحيح القبلة غير أنه لم ينل شهرة كبيرة في كتب التراجم والطبقات، حتى الدراسات المعاصرة التي اهتمت بالتاريخ الكرونولوجي للفقهاء المالكية، مثل ما قام به محمد العلمي المغربي، يغفلون هذا الفقيه ولا يتعرضون له، ويهدف أيضا إلى التدقيق في العصر الذي عاش فيه.

الكلمات المفتاحية:

أبو علي . المتيجي . عصره . القبلة.

Abstract:

The research raises an important problem about the era in which. Abu Ali al-Meteji, one of the Moroccan jurists and the monotheist of the Algerian Metijah, lived. Perhaps this faqih has a very short translation and is not as famous as other Muslim scholars in the books of translations and classes. There are some investigations that concluded that this jurist lived in the century But this investigation is not correct and not established, and in this study, the investigation and verification of the era in which Abu Ali al-Meteji lived, with the extraction of the evidence he used in refuting the Moroccans Qibla, who is Abu Ali al-Mitiji? How long did he live? How did he treat the Moroccans' kiss through his manuscript?

As for the objectives of the research, it aims to study one of the scholars of fiqh al-Maliki, who had the role of correcting the qibla, but he did not receive great fame in the books of

key words:

Abu Ali . Metegy. His era. El-Qibla

مقدمة:

يعد علم الهيئة ركيزة أساسية في حياة الفرد المسلم، لتفاعله مع المجتمع الإسلامي والمتطلبات الاجتماعية والدينية التي فرضتها البيئة الاجتماعية وبنية الحضارة الإسلامية تزايد الطلب عليه وعلى تطبيقاته التي تراعي ضرورات المجتمع الإسلامي كاستخدام آلات فلكية جديدة تسير التطور الحاصل في علم الفلك النظري، واستخدمت على نطاق واسع خاصة في الشعائر الدينية، في هذا الصدد برز لنا في الساحة المغاربية فقيه جزائري اهتم بعلم الميقات أبو علي المتيحي وهذا ما يبرزه مخطوطه الموسوم بدلائل القبلة، يعد من أهم الكتب التي يجب أن توفر لها العناية سواء دراسة وتحليلاً وسواء بالتحقيق، ولعل أشهر التحقيقات التي أجريت عليه ما قام به الباحث السوري سعيد الشبيب، وما قامت به الدكتورة نصيرة عزرودي، ولكن انطلاقاً من هذه التحقيقات قمت بالتحقيق والتمحيص في الزمن كان يعيش فيه هذا الفقيه، ومن أهم ما ركزت عليه في هذا الكتاب التحقق من ترجمة المؤلف وبيان عصره وما هي قواعده الجديدة في التدليل على القبلة وتوجهها .

المبحث الأول: ترجمة للفقيه أبي علي المتيحي

لقد وقع خلاف كبير حول العصر الذي عاشه الفقيه أبو علي المتيحي هل عاش خلال القرن الخامس الهجري ومنهم من قال أنه عاش خلال القرن العاشر، لكن لعل ما هو أقرب للصحة هو القرن الخامس الهجري ولعل هذا الاستنتاج تم من خلال تحقيق أحد المخطوطات وما قامت به الدكتورة نصيرة عزرودي، واعتمدت على إحدى

المخطوطات بباريس وذكرت أنه عاش في القرن الخامس، لكنّها لم تعتمد على كل الأدلة التي تثبت ذلك، كما أنّها اقتصرت فقط على كتابين من كتب التراجم، غير أن الرأي التي توصلت إليه في عصره هو الأصح، ودعمت رأيها ببعض كتب الطبقات والتراجم التي أغفلتهم المحققة ولم تنتبه إليهم، ومن ذلك ما ذكره القاضي عياض في كتاب الغنية لما ذكر ترجمة عبد الله بن أحمد بن خلوف، قال سمعت الفقيه أبا علي المتيجي يثني عليه بذلك كثيراً، وكان لا يداهن فتياه ولا يصانع أحداً وكان أمير المسلمين يصفه بذلك ويعرف حقه ويكرمه ويمارحه، وتوفي بأغمت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة عن عمر قارب الثمانين سنة¹.

ومما دل على أن أبا يعلى المتيجي كان في عهد دولة المرابطين ما ذكره ابن حجر العسقلاني في كتابه تبصير المنتبه لما ذكر متيجة وعدد علماءها ذكر من بينهم أبو يعلى قال ومنهم أبو يعلى المتيجي من فقهاء أغمت في عهد يوسف بن تاشفين عاش إلى عشر الثلاثين وخمسمائة².

وأيضاً من كتب التراجم التي ذكرت الفقيه أبي يعلى كتاب توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة لابن ناصر الدين المشقي فقد ذكر أنه عاش في القرن الخامس الهجري حيث قال لما ذكر علماء متيجة: قلت ومنها أيضاً أبو علي المتيجي من فقهاء أغمت بالمغرب ومفتيهم كان في العشرين وخمس مئة ذكره السلفي في (معجم السفر) قال و المتيجي من قرية المتيحة بالغوطة قلت هي بفتح الميم وكسر النون تليها مشاة ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة ثم هاء وبها مسجد عنده قبر ينسب إلى سعد بن عبادة قاله أبو

محمد ابن البرزالي فيما وجدته بخطه وقال المصنف فيما وجدته بخطه المنيحة القرية التي بها قبر سعد انتهى قال أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن خالد المنيحي عن أبي خليل عتبة بن حماد وعنه أحمد بن أنس بن مالك الدمشقي قلت مُنَخَّل بضم أوله وفتح النون والحاء المعجمة المشددة تليها لام منخل بن عياذ في بني سامة بن لؤي من ولده عطاء بن جعفر بن عمرو بن منخل وسيف بن عبيد الله بن كعب بن منخل³.

وهناك من الباحثين من يبينهم الباحث السوري عمار سعيد الشيب من رأى أن أبو علي المتيجي يرجع تاريخه إلى القرن العاشر واعتمد على أدلة تبين له من خلالها أن تاريخه يرجع إلى القرن العاشر الهجري، ويستند في ذلك إلى مخطوط في القبلية لمؤلف مجهول حيث ذكر بقوله فأجاب عليه الفقيه علي المتيجي أدام الله توفيقه وهذا دليل على أن المتيجي لا زال حيا عند كتابة مقالة في المجموع ما أفتى به علماء مصر من الفقهاء والميقاتية حين سئلوا سنة أربع وثلاثين وتسع مائة عن نصب محاربه⁴.

كما استند إلى أحد المخطوطات تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبد القادر الذي يقول فيه كتب العالم أبو زيد عبد الرحمن التاجوري الإفريقي المالكي حين وجه سؤالاً وجهه إلى مصر والحجاز سنة أربع وثلاثين وتسعمائة عن نصب محاربه بأرض المغرب، ليثبت أن أبا زيد عبد الرحمن التاجوري الإفريقي هو نفسه الذي وجه سؤالاً إلى الفقيه أبي علي المتيجي⁵.

لكن الدلائل التي توصل إليها الباحث السوري سعيد الشيب كلها ساقطة أمام ما ورد في المصادر كل من ابن حجر في كتابه التنبية والقاضي عياض في كتابه الغنية وكتاب

السفر للطاهر السلفي وما جاء في رحلة العبدري كل هذا اعتراض على ما قرره الباحث السوري⁶.

المبحث الثاني: عصر الفقيه أبو علي المتيجي:

هناك إشارة دالة على أن الفقيه أبو علي المتيجي في عصر المرابطين، ولعل هذا الكلام أشار إليه محمد المنوني في كتابه المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي لما ذكر معلومات عن الأنظمة الإدارية بالأندلس في عصر المرابطين ذكر من بينها رسالة في تحقيق اتجاه قبلة الصلاة في المغرب يسمى مؤلفها أبو علي المتيجي وهو ينشر في رسالته إفادات عن المغرب أيام المرابطين العصر الذي عاش فيه المؤلف، وهي مخطوطة بدار البيضاء بالمغرب حيث تتناثر في هذه النسخة معلومات مغربية ص 34، 35، 43، 74، 78.

والعصر الذي عاش فيه الفقيه كان قد مر بعدة مراحل النشأة والسيطرة على الصحراء ويسمى الدور الصحراوي ودور العظمة والتوسع نحو الشمال وهو الدور المغربي والدور الأخير هو الذي تميز بصدد الهجمات الصليبية ويسمى الدور الأندلسي.

وقد حظي الفقهاء المالكية فيها بموقع مؤثر ونفوذ متسع فلم يكن مستغرباً أن يفضل ويعظم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين شأهم ويصرف الأمور إليهم ويأخذ فيها برأيهم⁸.

ولعل المنطقة التي كان الفقيه أبو علي المتيجي ينتمي إليها وهي أغمات التي أصبح لها دور كبير في عهد الأمير يوسف بن تاشفين والسر في ذلك هو الجانب الاقتصادي الذي أكسبها قوة، فقد اشترى أرض مراكش من أهل أغمات بعد أن وجدها خالية من المياه

إذ لا ينابيع فيها لذلك أعطى أوامره بحفر الآبار وجلب المياه إليها بعد أن كانت تفتقر إلى المياه والخضرة⁹ واختار في ذلك من أشهر المخططين والمهندسين هو عبد الله بن يونس الذي عمل على استخراج المياه لسقي البساتين بطريقة هندسية، فانتشرت البساتين والجنات، وانتشرت العمارة بمراكش وحسن منظرها، كما نشطت أسواقها وتطورت وتعددت فهناك أسواق خاصة تباع فيها المحصولات الزراعية والخضر والفواكه والحبوب وأسواق لبيع الألبان، بل حتى الأرحاء طورت وانتشرت بها الحمامات والجنات والرياض والبساتين والثمار¹⁰.

أما بالنسبة لأغमत فقد أعطاهما موقعها مكانة هامة بين مراكز السوس حيث كانت تتوسط تلك المراكز مما أدى إلى استقرار مجموعات كبيرة من التجار بها فكانت أسواقها حافلة بكل أنواع السلع المختلفة وأعداد التجار من كل الجهات خاصة إلى بلاد السودان، كانوا يحملون إليها بأعداد الجمال محملة بالنحاس الأحمر والأكيسة وثياب الصوف والعطر والآلات¹¹.

بل كانت أغमत من أكثر مراكز دولة المرابطين أموالا وأوسعهم أحوالا وأبواب منزلهم تدل على مقادير أموالهم، وذلك أن الرجل منهم إذا ملك أربع آلاف دينار يمسخها مع نفسه وأربعة آلاف يصرفها في تجارته، أقام على يمين بابه وعلى يساره عرضتين من الأرض إلى الأعلى، وبنياهم من الآجر والطوب والطين أكثر، فإذا مر الخاطر بدار ونظر إلى تلك الغرض من الأبواب قائمة عدّها فيعلم من عددها كم مبلغ صاحب الدار¹².

ووصفها الإدريسي أي أغمات بأنها مدينة تكنفها جبل درن فإذا كان زمن الشتاء تحللت الثلوج النازلة بجبل درن فيسيل ذوبانها إلى نهر أغمات وأغمات أهلها هواره من قبائل البرر وهم أملياء تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان وبأغمات ضروب من الفواكه وأنواع من النعم وكل شيء من المأكول بها رخيص ممكن.

المبحث الثالث: أشهر تحقیقات مخطوط دلائل القبلة لأبي علي المتيجي

إن أشهر من قام بتحقيق مخطوط دلائل القبلة ما قام به الباحث السوري سعيد الشبيب غير أن هذا التحقيق قد عرف تقصيرا خاصة من ناحية ضبط الفترة الزمنية، وعدم ضبط تراجم الأعلام وفقدانه لتخريج الأحاديث، لكن من أحسن الأعمال في جانب التحقيق لهذا المخطوط ما قامت به الدكتورة نصيرة عزرودي واستخدمت هذه الأخيرة على مخطوطة بالمكتبة الوطنية بباريس وبينت نسبة الكتاب إلى مؤلفه واعتمدت على أدلة التي رجحت أن هذا الكتاب يرجع إلى مؤلفه اعتمدت على ما ذكره صالح بن أبي صالح المصمودي في كتابه القبلة في الأندلس والمغرب الأقصى بالإضافة إلى النزاع الذي طرأ على القبلة بين الفقيهين الشيخ التونسي والفقيه الطيب القافني هذا النزاع عايشه الفقيه أبو علي المتيجي مع رجل من أهل الدين والفضل لما بين له أن القبلة ليست إلى خط الزوال بالنسبة للمغرب فجادله وأقنعه بغلطه فاعترف قائلاً والله لا أتكلم بعد هذا اليوم أبداً في القبلة وأتكلم بما ثبت وقد ذكر الخلاف الصائر حول القبلة بقوله وشكوت ما ثار عندكم في مدينة أغمات وما حولها من الخلاف فيها والنزاع في أمرها ورأينا أن الصواب قد خفي عليكم في حقيقة استقبالها¹³.

كما بينت الدكتوراة نسبة العنوان للكتاب، و ذكرت أن المخطوط لم يتم ذكر فيه العنوان وإنما ذكر فيه اسم المؤلف فقط واعتمدت على قرائن تبين لها من خلالها نسبة العنوان للمؤلف ما ذكره المؤلف المجهول صاحب كتاب القلبة و العبدري وصفه بصاحب الرسالة في القلبة ومحمد المنوني سماها رسالة في تحقيق اتجاه قلبة الصلاة المغرب، وتؤكد الباحثة الاسبانية مونيكا ريوس أن العنوان الصحيح دلائل القلبة¹⁴.

المبحث الرابع: منهجه في دراسة القلبة

أ/منهجه:

اعتمد الفقيه المتيجي في كتابه على جملة من الفقهاء المالكية وهم كالتالي:

مالك بن أنس ت179هـ، وابن وهب ت 197 هـ، ابن حبيب ت238هـ، سحنون ت240هـ، ابراهيم بن الحسين أبو إسحاق، ت240هـ، أحمد بن خالد ت240هـ، المحاسبي ت243هـ، محمد بن عبد الحكم ت268هـ، عيسى بن مسكين ت315هـ، ابن أبي زيد القيرواني ت368هـ، الخطابي، ت388هـ، أبو الحسن بن القصار ت398هـ، أبو جعفر بن النصر الداودي ت403هـ، أبو عبد الله بن سفيان ت415هـ، عبد الوهاب ت422هـ، موسى ابن عيسى بن أبي عمران الفاسي ت430هـ، أبو بكر بن عبد الرحمن ت434هـ، أو ذر الهروي ت435هـ، عبد المؤمن القروي ت435هـ، السيوري القروي ت460هـ، ابن عبد البر ت463هـ، أبو الحسن

للخمي 478هـ، الشيخ التونسي ت 485هـ، ابن الزلوان اللمطي كان حيا في 445هـ، أبو الفضل النحوي ت 513هـ، أبو عبد ابن يونس المالكي توفي حوالي 522هـ.

كما اعتمد على كتب في تحديد القبلة منها كتابين هامين أولاهما لأبي جعفر بن النصر الداودي الأسدي المسيلي مولدا والطرابلسي نشأة، والكتاب الثاني لأبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي التوزري في كيفية استخراج القبلة في المغرب الأقصى¹⁵.

ب/ منزلة كتاب المتيجي بين كتب علم التوقيت:

للدلالة على قيمة كتاب المتيجي يكفي إشادة العلماء به واقتباسهم لأقواله للاحتجاج بها ومن بينهم أو علي صالح المصمودي لما اقتبس قول المتيجي قال قال المتيجي واعلم أن من أراد أن يجعل للمغرب كله قبلة واحدة من مصر إلى أقاصي المغرب فقد أخطأ لأن أهل المشرق يسمون مصر بالمغرب، لأن ذلك بلاد كثيرة وأقطار واسعة طولا وعرضا لا يصح أن تكون واحدة بدليل الذين نصبوا قبلة الفسطاط بمصر¹⁶.

قال أبو علي المتيجي: وكذلك رأيت جامع سبتة في بعض التغريب، فكان الإمام ينحرف فيه ويقول أهل العلم فيها لمن يصلي فيها انحرفوا يسيرا إلى المشرق فإن الامام ينحرف وينحرف أهل الصفوف، قال الشيخ: شاهدت ذلك منهم مرارا، قال أبو علي: وإن كان المسجد كثير الانحراف عن القبلة هدم ذلك إن لم يخف الفتنة على هدمه فإن لم يتفق الناس على هدمه صلى الناس فيه وانحرفوا، وأما إن امتنع هدمه من كثرة النفقة في هدمه وبنائه نظر أهل المغربة في تبديل محرابه إلى القبلة¹⁷.

وروى المتيجي عن سحنون أنه قال: نصب الرجل الصالح عقبة بن نافع محراب جامع القيروان هو وجماعة من التابعين وخمسة عشر رجلا من الصحابة بعد اجتهد في طلب قبلتها واستدلال على سمتها بالنجوم والمطالع حتى اتفقوا فنصبوها إلى مطالع الشمس عند منصرفها في الشتاء¹⁸.

قال المتيجي: انظر إلى المغرب الأقصى، بينه وبين القيروان نحو مسيرة شهرين لكنه قريب من السمّت لأن المصلي بالمغرب الأقصى على الكتف اليمنى للمصلي بالقيروان فأوجب ذلك أن ترتفع قبلة المغرب الأقصى عن قبلة القيروان في المشارق إلى مواضع الاعتدال.

المبحث الخامس: معالجته لقبلة المغاربة :

لقد قسم أبو علي المتيجي كتابه أي دلائل القبلة إلى ثلاثة أبواب الباب الأول جعله في بيان وجوب استقبال وبيان ضروب الأدلة الموصلة إليها وضروب المصلّين إليها وقسم الباب الأول إلى فصول الفصل الأول جعله في بيان استقبال المسجد الحرام على كل مصل وبين في هذا الفصل أن الصلاة شرط من شروط صحة الصلاة لا تتم بها ولا تقبل بدونها واستدل بآية من القرآن (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين) وبحديث للنبي صلى الله عليه وسلم (استقيموا ولن تحصوا واعلموا فإن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)، وقدم تفسيراً للآية التي قالها الله عز وجل (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وبين كلمة الشطر ماذا تعني في اللغة¹⁹.

أما الفصل الثاني فقد جعله المؤلف في ذكر ضروب الطرق الموصلة إلى معرفة القبلة، وبين أن طرق معرفة القبلة خمس منها رؤية الكعبة بالعين، والثاني من عاينها إذا كان ثقة والثالث الاستدلال عليها بالأدلة المنصوبة عليها والرابع تقليد العامي عالما مجتهدا والخامس تقليد من عدم هذه الأربعة وهو المتروك في الجهات، وبين أن هذه الطرق تبقى على هذا الترتيب لا تتقدم عن بعضها البعض وأما الفصل الثالث والرابع فقد جعله في الخبر من طرق معرفة القبلة ووصف هذا بأنه يأتي بعد رؤية العين ويكون هذا عن طريق التواتر قرنا عن قرن أما الاجتهاد فبعد عدم رؤيتها بالعين لما نصبه الله من نجوم وغيره فكلها دلائل تدل عليها واعتمد على الفقيه ابن حبيب في تفسيره للآية (وبالنجم هم يهتدون) قال يريد الله تعالى لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر إلى معرفة قبلة صلاتكم²⁰.

وفي الفصل الذي يليه تكلم عن أقسام القبلة وذكر بأنها على عشرة أضرب قبلة معانية، وقبلة استكشاف، وقبلة يقين، وقبلة إجماع، وقبلة خبر، وقبلة اجتهاد، وقبلة تقليد، وقبلة ظن، وقبلة ضرورة، وقبلة تردد²¹.

ثم أخذ الشيخ رحمه الله يشرح كل قبلة من هذه القبالات معتمدا على نصوص من كتاب الله وسنة نبيه ومعتمدا آراء الفقهاء المالكية، فأما قبلة المعانية فقد استعان فيها الشيخ المتيحي على قول الشيخ اللخمي في كتابه التبصرة بقوله من عاين الكعبة لزمه استقبالها فإن انحرف عنها شيئا لم تجزه صلاته وبهذا ناقش المتيحي المغاربة في معانيتهم للقبلة مع أنهم يستقبلون خط الزوال.

بينما قبلة الاستكشاف وهي لمن كان بمكة وغابت عنه القبلة بجدار أو جبل فهذا فرضه الاستكشاف نظرا للعدر الذي نزل به واستدل الشيخ رحمه الله بقول جبريل عليه السلام مع نبينا صلى الله عليه وسلم أشار له في المدينة إلى سمت مكة فنصب قبلة مسجده إليها، وبهذا الشيخ رحمه الله ناقض قول المغاربة في ادعائهم بأن قبلتهم إلى خط الزوال هي قبلة استكشاف وأن حجاجهم قد استكشفوا قبلة مكة.

ثم تكلم الشيخ عن قبلة اليقين عن خبر يقين وهذا ما جاء عن جبريل عليه السلام لما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم لما أشار له للقبلة فكان خبر جبريل عليه السلام خبر يقين، واستنتج الشيخ رحمه الله أن من صفة خبر التواتر ألا يناقض الخبر والمشاهدة فإنه قد ثبت عنده بالخبر والمشاهدة من الأعداد التي لا تنحصر من الناس الحجاج والمسافرين أن مكة لمغربنا ليست في خط الزوال فإنه قد اجتمع أن في كون مكة منا في المشرق بالخبر والنظر فبطل تواتر حجاجكم .

أما قبلة الاجماع وهي كل قبلة نصبها الأئمة المقتدى بهم في الدين فهذه قبلة لا يجوز لأحد الاجتهاد فيها كقبلة جامع الفسطاط التي نصبها سبعون رجلا من الصحابة وأبطل أقوال المغاربة بأن قبلتهم قبلة إجماع بأن مساجدهم التي بنوها إنما بنوها باجتهاد فنصبوها إلى خط الزوال، وإنما هم مقلدون في القبلة وتقليدهم مبني على التأويل الخطأ.

أما قبلة الخبر والاستخبار فقبلة الخبر هي الطرق الثابتة الموصلة لمعرفة القبلة وبين أن اخبر ضريان تواتر وأحاد وأما قبلة الاستخبار تكون لمن كان غائب عن مكة يلزمه

بالضرورة الاستخبار من ناحية مكة في الأرض والاستخبار مقدم على الاستدلال عليها فعلى العامي تلقي الركبان ويسأل المنصرفين ويستخبر الحجاج .

ثم تحدث الشيخ عن قبلة الاجتهاد وذكر بأنها الطريق الثالث لمعرفة القبلة ولا يجوز الاجتهاد فيها إلا بعد عدم الخبر عنها ثم ناقش قول المغاربة إن قالوا بأن قبلتهم إلى خط الزوال هي قبلة اجتهاد فهذا باطل لأن علماءهم اجتهدوا وقالوا بأن قبلتهم هي لخط الزوال بالاجتهاد فهذا بطل لان الاجتهاد مفاده اصابة الحق إصابة قرينة منه فبطل إدعاءهم²² .

ثم تكلم الشيخ عن قبلة الضرورة وقبلة الظن والتردد وقال الشيخ رحمه الله أن قبلة الضرورة تكون لأصحاب الأعذار كالمسافر، والمريض، والخائف، والمكتوف، والمربوط، والمهدوم، وأما قبلة الظن تكون للذي أغميت عنه القبلة بظلمة أو مطر والظنون في القبلة تتصور على وجوه منها بأن يرى ضوءاً يستدل به على القبلة.

أما قبلة التردد فقد ققال الشيخ ممن أغميت عليه القبلة وفقد دلائلها وفقد ظنونها فذكر الشيخ بأن هناك قولان في المذهب بأن يختار جهة للصلاة أو أن يصلي للجهات الأربعة.

أما الباب الثاني فقد جعله أبو علي المتيجي في ذكر الروايات الواردة بوجوب الاجتهاد في طلب القبلة ووجوب الرجوع إليها على من أخطأها وانقسام الناس في فرض الاجتهاد والطلب وما مطلوبهم هل هو عين أو الجهة؟ وكيفية استعمال الاجتهاد في الطلب.

واستخدم رحمه الله في بيان الاجتهاد فيها وتحقيق سميتها من الفروض الواجبة على نص للفقهاء اللخمي من غاب (عن مكة كان فرضه الاجتهاد واستند للإجماع).

اعتمد أبو علي المتيجي في التدليل على وجوب الرجوع إلى القبلة من أخطأها على مدونة الإمام مالك بقوله: (من ابتدأ الصلاة إلى غير القبلة وهو لا يعلم ثم علم بذلك وهو في الصلاة فإن استدبرها أو شرق عنها أو غرب قطع وابتدأ الصلاة بالإقامة من أولها ولا يدور إلى القبلة)²³.

وتبين له من قول الإمام مالك في أن الانحراف الكثير عن القبلة يبطل الصلاة فأسقط الحكم على مساجد المغرب إلى خط الزوال، وتركهم لمكة في المشرق، كما بين حكم من أدرك انحراف مسجده عن القبلة واعتمد على قول الفقهاء أبو الطيب عبد المنعم القروي وقع في كثير من المساجد القيروان، ثم قال الشيخ ورأيت هذا أنا بالمغرب بمدينة سبتة، قال ورأيت ذلك معانية ومشاهدة منهم مرارا، فإن عثر على المسجد منحرفا انحرافا كثيرا هدم بنيانه إن كان ذلك ليست فيه مشقة بكثرة تبعه وكثرة نفقته.

وفي آخر الباب تكلم عن بعض الأحكام الخاصة بقبلة المساجد الأربعة، فقبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منصوبة نصب تحقيق ببحر جبريل خبر يقين فهي منصوبة إلى خط الزوال وهو الوسط ما بين المشرق والمغرب تكون مكة منها في ذلك سمت فمكة في الجنوب للمدينة والمدينة في الجنوب لبيت المقدس، وهي ثلاثتها على خط واحد وثبت هذا الترتيب بحديث النبي صلى الله عليه وسلم (لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولا لغائط ولكن شروا أو غربوا)²⁴.

ثم بين الشيخ رحمه الله حكم قبلة المساجد بالمغرب الأقصى وأثبت بأن الذين نصبوا قبلة المغرب للأقصى إلى خط الزوال بعدما تبين لهم أن مكة في المشرق لم يكونوا أهل اجتهد في طلب القبلة ولا عارفين بشيء من وجوه الاستدلال وإنما نصبوا قبلتهم إلى خط الزوال بالتقليد وبتأويل خاطئ²⁵.

أما الباب الثالث والذي ختم به أبو علي المتيجي مخطوطه فقد جعله في ذكر أصناف الغالطين في القبلة وذكر تأويلهم الفاسدة في علامة القبلة، وذكر الآلات التي بها تستخرج القبلة عندهم، وما يع فيها من الغلط وبيان المعاني والشبه المغلطة وتكلم الشيخ في هذا الباب عن ثلاثة أصناف فالصنف الأول أهل سوء في التأويل والثاني جملة حجاج المغاربة والثالث الأهواء وطلب المنازل في الدنيا²⁶.

وبين الشيخ رحمه الله أن الصنف الأول من الغالطين في القبلة من أهل المغاربة هم أهل سوء أسأؤوا لتأويل حديث النبي صلى الله عليه وسلم (بين المشرق والمغرب قبلة) فقد أسأؤوا فهم الحديث لما حملوه على العموم فقال من ادعى بهذا الادعاء فهذا من أعظم الفرية على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين أن صدق ما يبطل هذا الادعاء هو قول الله تعالى (فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام)²⁷.

الخاتمة:

يعد أبو علي المتيجي من الفقهاء المغاربة الذين عاشوا في عهد المرابطين الذين لهم يد طويلة في الفقه والذين أعادوا قبلة المغاربة إلى منبعها الصحيح معتمدا في ذلك على أدلة وحجج وبراهين، بل ناقش أبو علي المتيجي فقهاء كثر في ذلك الزمن وأقنعهم بأن القبلة

التي كان عليها المغاربة إلى خط الزوال غير مؤسسة لم يقدّم لها دليل من الدلائل التي تثبت ذلك.

قائمة التهميش:

¹ القاضي عياض، الغنية شيوخ القاضي عياض، تحقيق زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص 155.

² العسقلاني أحمد بن علي ابن حجر تبضير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق علي محمد البيجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، القسم الرابع، ص 1394.

³ ابن ناصر الدين الدمشقي محمد بن عبد الله بن محمد القيسي، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، 8/ص 161.

⁴ مؤلف مجهول، في القبلة، ورقة رقم 150 ظهر.

⁵ أبو علي المتيجي، دلائل القبلة، تحقيق نصيرة عزرودي، منشورات مؤسسة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، 2017، ص 18.

⁶ أبو عبد الله العبدري، رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم الكردي، ط 2، دار سعد الدين للطباعة، دمشق، 2005، ص 337.

⁷ محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1983، 32/1.

⁸ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، 4/46.

⁹ شريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 223.

¹⁰ عصمت عبد اللطيف، أضواء جديدة على المرابطين دراسة اجتماعية اقتصادية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 104.

¹¹ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 235.

- ¹² الإدريسي، المصدر نفسه، ص232.
- ¹³ الإدريسي، نفس المصدر ونفس الصفحة.
- ¹⁴ أبو علي المتيجي، دلائل القبلة، تحقيق نصيرة عزرودي، ص25.
- ¹⁵ نفس المرجع السابق، ص27، محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، 1/32.
- ¹⁶ أبو علي المتيجي، نفس المصدر، ص32-33.
- ¹⁷ أبو علي المتيجي، نفس المصدر، ص36.
- ¹⁸ أبو علي المصمودي، كتاب القبلة، ص15.
- ¹⁹ أبو علي المصمودي، كتاب القبلة، ص26-27.
- ²⁰ أبو علي المتيجي، دلائل القبلة، ص49.
- ²¹ أبو علي المتيجي، دلائل القبلة، ص52.
- ²² أبو علي المتيجي، نفس المصدر السابق، ص63.
- ²³ أبو علي المتيجي، نفس المصدر السابق، ص66-70-77.
- ²⁴ أبو علي المتيجي، نفس المصدر، ص83.
- ²⁵ أبو علي المتيجي، نفس المصدر، ص87، 89، 91، 105.
- ²⁶ أبو علي المتيجي، نفس المصدر، ص113.
- ²⁷ أبو علي المتيجي، نفس المصدر، ص131، 132.